



كثير من الناس يصابون بالإحباط حين يقارنون مسار الأحداث في المنطقة العربية، قبل عشر سنوات أو عشرين والتطورات التي تحدث اليوم، ويرتاعون وهم يرون الظروف تتراوح من حسن لسيء، ومن سيء إلى أسوأ، ومن أسوأ إلى الأسوأ فالأسوأ.

والواقع السيء لا ينحصر في أزمة واحدة، فلدينا أزمة حرب، وأزمة تخلف، وأزمة بطالة، وأزمة تضخم، أزمة غلاء، وأزمة جوع، وأزمة علاج، وكوارث طبيعية... ويكفي أن نسمع أي نشرة أخبار لندرك حجم القضية.

المشهد الخارجي محبط ومثبط؛ فكيف نكتب لهؤلاء المرتاعين والمنكوبين عن التفاؤل، والواقع أمامهم لا يشير إلى هذا؟
ماذا نقول لهم، ونحن مهددون اقتصادياً وسياسياً من دول ذات ذات حول وطول وباع كبير بالإجرام والاستعمار وسرقة
الخيرات، ونحن لا نوازيها بأي شيء من هذا؟
إنها مصيبة لا دافع لها، ولا خلاص منها، كما يبدو، هذا الظاهر.

على أن العالم الإسلامي من بمثله على مدار خمسة عشر قرناً، وثبت، وعصفت به المؤمرات وكاد له العداء، وابتلي بثلاثة من
المخربين من داخله ومن خارجه، وبقي قائماً، وازدهرت حضارته وصمدت قروناً، ونشرت نورها في أنحاء الأرض.
وإن التاريخ قص علينا من قصص امتداد هذا الدين وانتشاره، ومن قصص النصر والظفر، أعاد حبيب ما كانت متوقعة أبداً،
وسلط التاريخ غرائب من غلبة الضعيف على القوي والقلة على الكثرة ومن الكرامات والمعجزات... ما يجعل الحليم حيراناً.
ذلك أن الخط البياني للتاريخ ليست له قاعدة، ولا يمشي على تيره واحدة، إنه يتقلب كل يوم، ولا تحكمه قوانين عامة، إنه
كأسعار الذهب لا ندرى متى تتصعد ومتى تهبط، ولا يمكن لأي أحد التكهن بها، أو التحسب لها، تأتينا بفترة فتبهتنا ويعقبها

اقرؤوا كيف قهرنا الصليبيين وإن كان بعد قرنين من الزمن، وكيف انتصرنا على جيوش المغول والتتار التي لا تقهـر، والتي اكتسحت العالم الإسلامي فلم تبق ولم تذر، دمرت أفغانستان والشيشان وبلاد فارس وخوارزم، وبغداد... ومـامـن شيء أـتـتـ عليهـ إـلاـ جـعلـتـهـ كـالـرـمـيمـ، هـدـمـواـ وـقـتـلـواـ وـمـضـواـ، حـتـىـ قـالـواـ:ـ "ـهـؤـلـاءـ يـأـجـوجـ وـمـأـجـوجـ"ـ، ثـمـ قـضـىـ عـلـيـهـمـ رـجـلـ وـاحـدـ وـجـيشـ وـاحـدـ فـيـ مـعـرـكـةـ فـاـصـلـةـ، كـادـتـ الـهـزـيمـةـ تـطـالـلـاـ هيـ الـأـخـرـىـ، وـلـكـنـ الصـمـودـ وـالـثـبـاتـ وـالـإـيمـانـ يـثـمـرـ فـيـ لـحـظـةـ حـاسـمـةـ، بـلـ فـيـ آـخـرـ اللـحـظـاتـ، فـهـزـمـوـهـمـ بـيـانـ اللـهـ، فـوـقـ زـحـفـهـمـ، وـأـسـلـمـ بـعـضـهـمـ وـحـسـنـ إـسـلـامـهـمـ!

وـإـنـ النـصـرـ يـوـلـدـ مـنـ رـحـمـ الـيـأـسـ:ـ "ـحـتـىـ إـذـاـ لـسـيـئـسـ الرـسـلـ وـظـنـوـاـ أـنـهـمـ قـدـ كـذـبـواـ جـاءـهـمـ نـصـرـنـاـ فـنـجـيـ منـ نـشـاءـ وـلـاـ يـرـدـ بـأـسـنـاـ عـنـ الـقـوـمـ الـمـجـرـمـينـ"ـ.

فـيـ التـارـيـخـ قـصـصـ كـثـيرـةـ، وـحـرـوبـ كـبـيرـةـ وـهـزـائـمـ سـاحـقـةـ، وـلـوـ اـسـتـسـلـمـتـ كـلـ أـمـةـ لـلـمـصـيـرـ الـذـيـ حـلـ بـهـاـ، وـلـلـبـلـاءـ الـذـيـ وـقـعـ عـلـيـهـاـ، لـمـ دـارـتـ الدـنـيـاـ دـوـرـاتـهـاـ وـانـهـزـمـ الـمـنـتـصـرـ وـاـنـتـصـرـ الـمـنـهـزـ، وـارـتـفـعـ الـذـلـلـ وـذـلـ الـعـزـيزـ. كـلـ شـيـءـ يـتـبـدـلـ، وـتـتـحـولـ الـدـوـلـ مـنـ الـقـوـةـ إـلـىـ الـضـعـفـ، وـيـسـقـطـ الـطـغـاـةـ وـتـزـولـ حـضـارـاتـ كـامـلـةـ.

إـنـ الـأـيـامـ دـوـلـ وـمـنـ الـمـبـشـرـاتـ أـنـ الـحـضـارـةـ الـغـرـبـيـةـ شـارـفـتـ عـلـىـ الذـبـولـ، وـلـكـشـفـ زـيـغـ أـتـبـاعـهـاـ وـفـضـائـحـ أـذـنـابـهـاـ، وـالـحـضـارـةـ الـعـرـبـيـةـ تـنـهـضـ وـتـزـدـهـرـ وـتـثـبـتـ كـلـ يـوـمـ إـنـجـازـاـ جـدـيـداـ، وـسـوـفـ تـنـتـصـرـ.

المصادر: